الوفاء بين الزوجين

تعريف الوفاء:

الوفاءُ ضد الغَدْر. والوفاء من التوفية، يقال: وفاه حقه: أي أعطاه حقه كاملا غير منقوص.

والوفاء هو ثبوت الإنسان على قوله وفعله، فالإنسان الوفي هو الذي لا تتغير مواقفه ولا أقواله ولا أفعاله بتغير الأحوال بل هو دائما ثابت على أقواله وأفعاله.

تعالوا بنا نتجول في سلفنا الصالح لنرى صورا مشرقة للوفاء بين الزوجين:

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد موتها:

روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ»

ورويا عن عائشة، قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرا منها.

أخرج الحاكم وهو في "صحيح الجامع" (٢٠٥٦) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

"جاءت عجوز إلي النبي ﷺ وهو عندي ـ فقال لها رسول الله ﷺ: مَن أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حُسَّانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حُسن العهد من الإيمان". **(السلسلة الصحيحة:٢١٦)**

فهذه أمثلة عملية وردت عن خير البرية ﷺ تضرب لنا المثل الأعلى في الوفاء وحسن العهد.

روى أحمد عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: " مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ ".

٣ ـ وأوصى أبو بكر ﷺ إذا مات أن تُغسِّله أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ وكانت صائمة، فسألت مَن حضر من المهاجرين، وقالت: إني صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل علي من غُسل؟ فقالوا: لا. وكان أبو بكر ﷺ قد عزم عليها (أقسم عليها لما أفطرت)، وقال: هو أقوى لكِ، فذكرت يمينه في آخر النهار، فدعت بماء، فشربت وقالت: والله لا أُتبعه اليوم حِنثاً" **(رواه ابن سعد في الطبقات: ٢٠٨/٨)**

٥ ـ ولما تسور الثائرون على عثمان ﷺ وتبادروه بالسيوف

ألقت زوجته نائلة ـ رضي الله عنها ـ بنفسها عليه حتى تكون له وقاء من الموت، فلم يَرْعَ القتلة حرمتها، وضربوه بالسيف ضربة انتظمت أصابعها، ففصلتهن عن يدها، ونفذت إليه فجندلته، ثم ذبحوه كما يذبح الحمل الذلول ﷺ.

وهناك مثال آخر يدل على وفاء الزوجة لزوجها وحسن العهد به:

٧ـ لما قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي ـ ثائر العراق وسفاحها ـ مصعب بن الزبير

ثم أتى بآل بيته وشيعته فمن لم يقر بكفره ويبرأ منه ألحقه به، فلم يبق على عهده والوفاء له إلا امرأته عمرة بنت النعمان بن بشير، فقد قالت حين سئلت: أشهد لقد كان عبداً من عباده الصالحين، فأمر بها فقتلت، فانظر ـ رحمك الله ـ كيف كان باستطاعتها أن تقول كلمة واحدة تنجو بها من السيف، ولكنها آثرت أن تلحق بزوجها وفاءً له، فلم يطاوعها لسانها أن تتكلم في حقه، فقالت الصدق ولحقت بالزوج فرحمة الله عليهما.

٦ . ***يقول فضيلة الشيخ محب الدين الخطيب . رحمه الله . كما في مقدمته لكتاب "آداب الزفاف" صـ ١٢-١٦:*** إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . خليفة المسلمين، وزوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول . وهو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وكانت أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام وهم: الوليد بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك .

هذه السيدة خرجت من بيت أبيها إلي بيت زوجها يوم زُفَّت إليه، وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلي والمجوهرات، ويقال: إن من هذه الحلي قرطي مارية اللذين اشتهرا في التاريخ، وتغنَّى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزاً، إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز اختار . في الوقت الذي كان فيه أعظم ملوك الأرض . أن تكون نفقة بيته نصف درهم في اليوم، ورضيت بذلك زوجة الخليفة . التي كانت بنت خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء . فكانت مغتبطة بذلك؛ لأنها تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها، وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج عن هذه الألاعيب، والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصميها، مما لا يسمن ولا يغني من جوع، ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله فاستجابت له، واستراحت من أثقال الحلي والمجوهرات واللآليء والدرر التي حملتها معها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلي بيت مال المسلمين، وتُوفِّي عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي، وإني اعتبرتها أمانة لكِ وحفظتها لهذا اليوم، وقد جئت أستأذنك في إحضارها.

فأجابته: بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت: ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً. وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة في الوقت الذي كانت محتاجة فيه إلي دريهمات.

- أم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل

أسلمت يوم فتح مكة وكان زوجها عكرمة من أشد أعداء الإسلام وقد آذي صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا فلما رفع الله راية الاسلام خفاقة عالية وجعل لهم الدولة على أهل الكفر خاف عكرمة وفر هاربا يريد ركوب البحر خارج الجزيرة بأسرها سارعت زوجته للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن عكرمة فر هاربا خائفا فأمنه يا رسول الله فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحقته حين كان السفينة أن تتحرك به وأبلغته الخبر ورجع معها إلى مكة وأسلم فهذا وفاء له في الدنيا وفي الآخرة وصدق الله إذ يقول: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]

<u>لو نظرنا لبيوتنا الإسلامية لوجدنا ما يندى له الجبين من صور عدم الوفاء بين الزوجين:</u>

هناك مع الأسف من الزوجات من جعلت وفاءها لزوجها مرتبط بقضايا دنيوية بحتة فما دام زوجها قوياً غنياً جميلاً صحيحاً كانت وفية له،أما إذا وجدت والعياذ بالله أو زين لها الشيطان بأن غيره عنده ما هو أفضل تنكرت لزوجها بل وقد تتنكر لبيتها وأولادها؛ وقدوتها في ذلك بطلات المسلسلات وأفلام القنوات، وينقلب الوفاء غدراً وتطالب بالطلاق بحثاً عما تريد هذا إن سلمت والعياذ بالله من الحرام، ومنهن من تكون وفية لزوجها في حال صحته وشبابه وكثرة ماله فإذا شاب شعره وكبر سنه ورق عظمه قلبت له ظهر المجن وتطاولت عليه بلسانها وآذته بأفعالها بل قد يصل الحال ببعضهن إلى أن تسلط عليه أبناءه وتحرضهم على عدم الوفاء له والبر به فيعود ذلك الأسد الذي كان يملؤ البيت زئيراً قطة مهملة في ركن من أركان البيت، فأسأل هذا الصنف من النساء أين الوفاء للرابطة الزوجية المقدسة أين كن من قول الهادي البشير: ((..لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ)).

وفي المقابل هناك من الرجال من قل وفاؤهم لنسائهم فهو وفي لزوجته ما دامت تقوم على خدمته وخدمة بيته وأولاده محتفظة بجمالها فإذا ما كبرت وذهب شيء من جمالها أو ابتليت بداء أو مرض، أو حتى أغضبته في أمر بسيط من أمور الحياة الزوجية ، تنكر لها ولما قدمته له وعاقبها بطلاقها وقد يستخدم أولادها أداة لزيادة تعذيبها أو قد يتركها في البيت كشيء مهمل ليس له قيمة ويبحث عن زوجة صغيرة رشيقة جميلة يقضي معها حياته ولا يعطي هذه المسكينة حقوقها

التي شرعها الله لها بل قد ينساها هي وأولادها، فتتحول تلك الزهرة التي كانت تملأ البيت أريجاً وعطراً والتي طالما تغنى بجمالها إلى زهرة ذابلة الأوراق ليس لها في حياته معنى.فأقول لمثل هؤلاء الرجال أينكم من وصية رسولكم لكم بالنساء يوم أن قال: ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)).

ومن أقبح صور عدم الوفاء بين الزوجين أنه في حالة حدوث مشكلات بينهما أو طلاق لا قدر الله فيقوم كل طرف بذم الآخر ويضع فيه من ا لعيوب ما فيه وما ليس فيه وينسى أو يتناسى كل طرف منهما ما قضاه من ساعات سعادة وما نهل من أفضال الآخر

وما يحدث من تهم بالباطل بين الزوجين في رواقات المحاكم خير شاهد على ما وصل إليه حالنا.